مناهل العرفان في علوم القرآن

بقلم

الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بتخصص الدعوة والإرشاد
بكلية أصول الدين سابقًا

حققه واعتنى به
فوّاز أحمد زمرلي
عفا الله عنه

الجزء الأول

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ ١٩٩٥م

دار الكتاب العربي

الطابق الثامن - بناية بنك بيبلوس - فردان - تلفون : ٨٦١١٧٨/٨٠٠٨١١/٨٦٢٩٠٥
تلفاكس : ٤٧٨١٤٣١ (١٢١٢) تلكس : ٤٠١٣٩ LE كتاب برقيا : الكتاب . ص.ب : ٥٧٦٩-١١ بيروت . لبنان

المبحث الثالث
في نزول القرآن

هـذا مبحث مهمٌ في علوم القـرآن بـل هـو أهمّ مبـاحثـه جميعـاً، لأنّ العلم بنـزول القرآن أساسٌ للإيمان بالقرآن وأنـه كلام الله، وأسـاسٌ للتصديق بنبـوة الرسـول ﷺ وأنّ الإسلام حقّ. ثم هو أصل لسائر المباحث الآتية بعـدُ في علوم القـرآن. فلا جرم أن يتصـدَّرها جمعـاء، ليكون من تقريره وتحقيقه، سبيلٌ إلى تقريرها وتحقيقها. وإلا فكيف يقوم البناء على غير أسـاس ودِعام؟.

ولأجل الإحاطة بهذا المطلب العزيـز، نتكلم - إن شاء الله - على معنى نـزول القرآن، ثم على مـرات هذا النـزول، ودليل كـلّ نزول، وكيفيتـه، وحكمته، ثم على الـوحي وأدلته العقليـة والعلمية، مع دفع الشبهات الواردة في ذلك المقام.

١ - معنى نزول القرآن

جاء التعبير بمادة نزول القرآن وما تصرَّف منها في الكتاب والسنة، ومن أمثلته قوله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَـاهُ وبِالْحَقِّ نَـزَلَ﴾. [الإسراء: ١٠٥]. وقـوله ﷺ: «إنَّ هٰـذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[١]. وهو حديث مشهور بل قيل فيه بالتواتر كما سيأتي.

لكنَّ النزول في استعمال اللغة يطلق ويراد به الحلول في مكان والأُوِيُّ به ومنه قولهم: «نزل الأمير المدينة». والمتعدِّي منه وهو الإنزال يكون معناه إحـلال الغير في مكـان وإيواءَه بـه. ومنه قوله جلّ ذكره: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خيرُ المُنْزِلِينَ﴾. [المؤمنون: ٢٩]، ويطلق النـزول إطلاقـاً آخر في اللغـة على انحـدار الشيء من عُلوٍ إلى سُفْـلٍ، نحـو: «نَـزَلَ فُـلَانٌ مِنَ الجبلِ». والمتعدِّي منـه يكون معنـاه تحريـك الشيء من عُلوٍ إلى سُفْلٍ. ومنـه قولـه سبحانـه: ﴿أنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾. [الحج: ٦٣].

ولا ريب أنّ كـلا هذين المعنيين لا يليق إرادتـه هنا في إنـزال الله للقـرآن، ولا في نـزول القـرآن من الله، لما يلزم هـذين المعنيين من المكانيـة والجسمية[٢]. والقـرآن ليس جسماً حتى

(١) سيأتي تخريجه في باب نزول القرآن على سبعة أحرف.

(٢) أنت ترى أخي القارىء إغراق المؤلف في التأويل، والأشعرية، وأنه لم يذق رائحة العلم باعتقاد سلف الأمة، =